موقف الاثنا عشرية من السنة النبوية

الباحثة/ أسماء عثمان خليفة محمد

موقف الاثنا عشرية من السنة النبوية

الباحثة/ أسماء عثمان خليفة محمد
إشراف
أ.د. محمود محمد سلامة
كلية دار العلوم ـ جامعة المنيا

معلوم أنَّ السنة النبوية الشريفة هي العمود الثاني من أعمدة الإسلام وأنَّ الله سبحانه وتعالى قد أمرنا في محكم كتابه العزيز بطاعة رسوله سيدنا محمد ﷺ، فهو ﷺ أمينه علي وحيه وخيرته من خلقه، وسفيره إلى عباده ﷺ.

وقد قرن الله طاعة رسوله بطاعته في العديد من الآيات البينات.

كما فرض الله سبحانه وتعالى طاعة رسوله وذكرها في العديد من الآيات وحدها، وليس لمؤمن بعد هذا كله أن يختار شيئاً بعد أمره ﷺ، بل إذا أمر ﷺ أمراً فأمره حتم، ويجب علي جميع المكلفين إتباعه، ويحرم عليهم مخالفته فلا حكم لأحد معه ولا قول لأحد بعده، يقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِينًا﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ واليوم الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾(٣). وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ

---

(١) سورة الأحزاب: آية ٣٦ .

(٢) سورة الحشر آية ٧ .

(٣) سورة النساء آية ٥٩ .

فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ۞ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[٢].

فهذه الآيات الكريمة تبين أن طاعة الرسول ﷺ فرض على كل مكلف وهي من طاعة الله تعالى، والدليل على ذلك أنّها جاءت مقرونة بطاعة الله عز وجل في أكثر من موضع في القرآن الكريم. وقد حذرت الآيات من يعصي أمر الرسول ﷺ وحكمت عليه بالضلال وعدم الإيمان؛ لأنَّ طاعة الرسول ﷺ طاعة لله تبارك وتعالى .

إذن فبيان السنة من بيان كتاب الله العزيز ولا يكون مثل هذا للرسول ﷺ إلاَّ إذا كان معصوماً لا ينطق عن الهوى وهو ما بيَّنه القرآن حيث قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى۞ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى"[٣]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ۞ صِرَاطِ اللَّهِ﴾[٤].

فإذا كان القرآن الكريم وحياً منزلاً أمرنا الله بإتباعه والتعبد به وتلاوته، فإن السنة المطهرة من الوحي المنزل الذي أمرنا الله بإتباعه دون التعبد بالتلاوة.

وقد روي عن النبي ﷺ ما يبين وجوب طاعته ويحذر من معصيته، فقد روي عن النبي ﷺأنَّه قال: " ألا هل عسى رجل يَبْلُغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وما وجدنا فيه حرامًا حرمناه، وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله " [٥].

---

(١) سورة النساء آية ٨٠ .

(٢) سورة النور ،الآيتان ٥١ ،٥٢ .

(٣) سورة النجم الآيتان ٣:٤

(٤) سورة الشورى: الآيتان٥٢ ،٥٣

(٥) أخرجه الترمذي في سننه كتاب العلم، باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ برقم ٢٦٦٤، وقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وأخرجه ابن ماجة في سننه باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ. والتغليظ=

وروى الأوزاعي عن حسان بن عطية أنَّه قال: " كان جبريل ينزل علي النبي بالسنة كما ينزل عليه بالقران ويعلمه إياها كما يعلمه القرآن " (١).

وقد أمر النبي ﷺ أصحابه بتبليغ سنته المطهرة في حياته وبعد وفاته في أحاديث كثيرة منها؛ قوله ﷺ في حجة الوداع: " ألا ليبلغ الشاهدُ الغائبَ، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه" (٢).

ويقول أيضاً : " نضر الله امرأ سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع" (٣)، وفي رواية عن أنس عن النبي ﷺ قال: " فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه " (٤).

= على من عارضه، برقم ١٢ من حديث المقدام بن معد يكرب .وقد ظهر هذا الصنف المعني في الحديث النبوي الشريف كثيراً على مر التاريخ، وقد ظهر ذلك قديماً عند بعض الفرق الكلامية في أنَّ السنة ظنيَّة الثبوت، وما دامت السنة ظنية الثبوت فكل ما يؤخذ منها من فعل أو قول فهو ظني أيضاً، والظن لا ينبني عليه الدين في عقائده وأحكامه وشرائعه، وفي العصر الحديث ظهرت مجموعة معروفة بالقرآنيين، وهذا الأمر في الحقيقة، يعد من معجزات النبي ﷺ.

(١)أخرجه الدارمى فى سننه المقدمة، باب السنة قاضية على كتاب الله ١/١٥٣ رقم ٥٨٨، والخطيب البغدادى فى الفقيه والمتفقه ت:عادل يوسف العزازى، ط١/دار ابن الجوزى بالرياض، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ج١ص٢٦٦ ح رقم ٢٦٨، ٢٦٩، والمروزى فى السنة، ت:ناصر الدين الألبانى، ط٣/المكتب الإسلامى، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ص٣٢ رقم ١٠٢، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ٢/١٩١،المطبعة المنيرية ١٩٧٨، تصوير دار الكتب العلمية ، وأبو داود فى المراسيل ص١٦٧ رقم ٥٦٧، ت:كمال يوسف الحوت، ط١/دار الجنان بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٢) البخاري (بشرح فتح الباري) كتاب التوحيد، باب قال الله تعالى {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة} ١٣ / ٤٣٣ رقم ٧٤٤٧ ، ومسلم (بشرح النووي) كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض ٦/ ١٨٢ رقم ١٦٧٩ واللفظ له من حديث أبي بكر رضي الله عنه.

(٣)سنن الترمذي . كتاب العلم ، باب في الحث على تبليغ السماع ٤ / ١٤٢ ، وأخرجه أحمد في مسنده ١ / ٤٣٧ ، وابن ماجه في المقدمة ، باب من بلغ علما ١ / ٨٥ . والحديث متواترا رواه أربعة وعشرون صحابيا .انظر : دراسة حديث « نضر الله امرأ سمع مقالتي" رواية ودراية . تأليف عبد المحسن العباد ، ط١ ، المدينة المنورة ، ١٤٠١ هـ .

(٤)أخرجه أبوداود - واللفظ له - في كتاب العلم ، باب فضل نشر العلم ٣ /٣٢٢ح٣٦٦٠ ، والترمذي في كتاب العلم ، باب ماجاء في الحث على تبليغ السماع ٥/٣٤ح٢٦٥٧ ، وابن ماجه في المقدمة ، باب من بلغ علماً ١/٨٤ح٢٣٠ ، والدارمي في المقدمة ، باب الإقتدآء بالعلماء ١/٨٦ح٢٢٩ ، وأحمد ٥/١٨٣ح٢١٦٣٠ كلهم عن زيد بن ثابت.

وفي نفس هذا المعنى في الحديث الصحيح، الذي رواه كل من جبير بن مطعم وابن مسعود وزيد بن ثابت، جميعهم عن رسول الله ﷺ قال : " نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها وحفظها، ثُمَّ أداها إلى من لم يسمعها، ورب حامل فقه ليس بفقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصح لأئمة المسلمين ولزوم جماعتهم ، فإنَّ دعوتهم تحوط من ورائهم "(١).

وقد علَّق الإمام الشافعي على هذا الحديث قائلاً: " فلمَّا ندب رسول الله ﷺ إلى استماع مقالته وحفظها وأدائها أمراً يؤديها، والأمر واحد : دلَّ على أنَّه لا يأمر أن يؤدى عنه إلا ما تقوم به الحجة على من أدى إليه؛ لأنَّه إنَّما يؤدى عنه حلال، وحرام يجتنب، وحد يقام، ومال يؤخذ ويعطى، ونصيحة في دين ودنيا، ودلَّ على أنَّه قد يحمل الفقه غير فقيه ويكون له حافظاً، ولا يكون فيه فقيهاً " (٢).

وقد كان السلف الصالح يتمسكون بسنة الرسول ﷺ تمسكهم بالقرآن فالكل وحي واجب الإتباع، وذكر الحض كثيراً على الاعتصام والتمسك بالقرآن والسنة.

وكان الأئمة بعد النبي ﷺ يتخيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها، فإذا كان الأمر في الكتاب أو السنة لم يتعدوه إلى غيره اقتداءً بالنبي ﷺ وإتباعا لأمر الله في وجوب طاعة الله ورسوله.

وقد عني الصحابة بالسنة المحمدية حفظاً وفهماً وفقهاً، وبلغوها بلفظها وهو الغالب والأصل. أو بمعناها إلى من جاء بعدهم من التابعين، وإن كان

---

(١) أخرجه أحمد (٨٠/٤ ، رقم ١٦٧٨٤) ، والدارمى (٨٦/١ ، رقم ٢٢٨) ، وأبو يعلى (٤٠٨/١٣ ، رقم ٧٤١٣) ، والطبرانى (١٢٦/٢ ، رقم ١٥٤١) ، والحاكم (١٦٢/١ ، رقم ٢٩٤) وقال : صحيح على شرط الشيخين.

(٢) الشافعي : الرسالة، ص ٤٠٢ــ٤٠٣، وانظر : سنن الدارمي المقدمة، باب البلاغ عن رسول الله ﷺ وتعليم السنن ١٤٥/١ من رقم ٥٤٢ – ٥٦١.

الأمر في بدايته: النهي عن كتابة السنة المطهرة، حيث يقول رسول الله ﷺ: " لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه وحدثوا عني ولا حرج"(١). وكان ذلك لعلة ألا وهي الخوف من أن ينكب عليها المسلمون ويتشاغلوا بها عن القرآن الكريم .

فالتأخر في تدوين السنة، هو كما يذكر المحققون من أهل السنة، كان الهدف الأساسي منه: إبعاد الأمة الإسلامية عن الخطأ الأثيم الذي ارتكبه أهل الكتاب من قبل بتبديل كتاب الله التوراة والإنجيل بوصايا الرسل وجعلوها هي الكتب المنزّلة ،ثم هو حفاظاً على كتاب الله عز وجل والتمكين له أولاً في قلوب المؤمنين كما سبق (٢).

ذكر ابن عبد البر أنَّ عمر بن الخطاب ﷺ أراد أن يكتب السنن، فاستفتى أصحاب النبي ﷺ في ذلك فأشاروا عليه بأن يكتبها، فطفق عمر ﷺ يستخير الله فيها شهراً ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له، فقال: إنّي كنت أريد أن أكتب السنن وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله، وإنّي والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبداً " (٣).

لهذا خُشي أن تدون السنة فينكب عليها المسلمون، ويتشاغلوا بها عن القرآن الكريم فيتشبهون بأهل الكتاب كما قال عمر ﷺ.

إذن كانت العلة من عدم التدوين في البداية هي خشية اختلاط السنة بالقرآن، وانشغال الصحابة بها عن القرآن. فلما انتفت هذه العلّة كان الأمر بالتدوين.

---

(١)مسلم (بشرح النووي) كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث، وحكم كتابه العلم ٩/ ٣٥٦ رقم ٣٠٠٤.

(١) الدكتور رءوف شلبي: السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين، ، ١٧١، ط١مطبعة السعادة بالقاهرة، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، ص ١٧٠، وقارن ذلك بكتاب:حجية السنة، للدكتور عبد الغنى عبد الخالق،ص ٤٥٦، ٤٥٧ ط٢/دار الوفاء بالمنصورة، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

(٣)جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، المطبعة المنيرية ١٩٧٨، تصوير دار الكتب العلمية ج١ ص١٣٢.

وقـد انتهـي القـرن الأول والمدونـون للسنة قلـيلون وإن كان الحافظون لها المقيدون لها في الصدور كثيرون.

ولقـد كـان الـسلف يحفظـون الآثـار إلـى حد أن تتشربها وجداناتهم، ثم يـنقادون إلـيها انقـياد المـتدين حتـى تـبدو ظاهـرة على سلوكهم، ثم يتحملها من بعدهم من يريد أن يتحملها بنفس المشاعر وذات الصفات.

مفهوم السنّة النبويــة:

السنة في اللغة:

تطلــق الـــسنة فـــى اللغة ويراد بها:السيرة أو الطريقة حسنة كانت أو قبيحة، وجمعهــا ســـنن، تقول: سننت لكم سنة حسنة فاتبعوها: إذا عملت عملاً لم تسبق إليه، وأردت أن يتــبعك غيرك عليه، قال النبي ﷺ: " ومن سنَّ في الإسلام سنة حسنة فعمل بها من بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإســـلام سنة سيئة فعمل بها كُتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء "(١).

وقـــال تعالى: " قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ" (٢).

وقال صلي الله عليه وسلم" لتتبعن سَنَن من قبلكم شبراً بشبرٍ وذراعاً بذراعٍ"(٣).

فالسنة في وضعها اللغوي قد وُضعت للدلالة على وقال عليه الصلاة والسلام: ما يجمع الطريق والمنهج والسيرة والشريعة. والعرب تديرها على هذه المعاني كلها(٤).

وشُـــراح الحـــديث يـــستعملون كلمة (سنة) بحسب ورودها في سياقها، لكنَّهم يلفـــتون النظـــر إلـــى السنة بهذا المعنى اللغوي، فيقول قائلهم: " ومعنى قوله سنة: أي شريعة وطريقة لازمة " (٥).

وعلمــــاء التفسير كعلماء الحديث يستعملون السنة بهذا المعنى نفسه لا يختلفون ولا يبدلون ولا يغيرون، إلا في مزيد شرح أو تفصيل.

---

(١)مسلم – كتاب العلم – باب رفع العلم وظهور الفتن في آخر الزمان – ح: ١٠١٧ – جـ١٦/١٧١.

(٢) آل عمران آية ١٣٧ .

(٣)أخـــرجه الـــبخاري فـــي موضعين من " صحيحه ":الأول: في (كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إســـرائيل، ٦/ ٤٩٥/ ٣٤٥٦).والموضع الثاني: في (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «لتتبعن سنن من كان قبلكم»، ١٣/ ٣٠٠/ ٧٣٢٠)، ومسلم في (كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، ٤/ ٢٠٥٤/ ٢٦٦٩)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) ابن منظور : لسان العرب،باب النون فصل السين،مادة سنن. والزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي [باب النون فصل: السين،مادة : سنن)

(٥) ابن حجر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج٣، ص٦٠ ، ط دار المعرفة ــ بيروت، ١٣٧٩هــ.

وهـــذه عبارة الرازي يشرح بها كلمة (سنن) التي هي جمع سنة، وهو يحاول أن يـــرجع بالكلمـــة إلـــى أصل اشتقاقها، كما يضع المعنى الجامع الذي تدل عليه هذه الكلمـــة، حيث يقول : " وأمَّا السنة فهي الطريقة المستقيمة والمثال المتبع، وفي اشتقاق هـــذه اللفظة وجوه؛ **أحـــدها:** أنَّها ــ فعلة ــ من سن الماء يسنه إذا والى صبه، والسن: الـــصب للمـــاء، والعرب شبهت الطريقة المستقيمة بالماء المصبوب فإنَّه يتوإلى أجزاء الماء فيه على نهج واحد يكون كالشيء الواحد، والسنة: فعلة، بمعنى مفعول.

وثانـــيها: أن تكـــون من سننت النصل والسنان، أسنه سنا فهو مسنون حددته على المسن، فالفعل المنسوب إلى النبي ﷺ سنة على معنى أنه مسنون.

وثالـــثها: أن يكون من قولهم: سن الإبل إذا أحسن الراعي، والفعل الذي داوم عليه النبي ﷺ سُمي سنة بمعنى أنه ﷺ أحسن رعايته وإدامته " (١).

والقـــرآن الكريم كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قد اســـتعمل هـــذه الكلمة (سنة) بالإفراد وبالجمع، واستعملها مضافة إلى اسمه تعالى، كما استعملها مضافة للمرسلين، بل إنَّه قد استعملها مضافة إلى الأمم السالفة الذين أرسل الله إليهم الأنبياء، وبعث إليهم الرسل.

والمـــتأمل فـــي هذا الاستعمال القرآني لهذه الكلمة يجد أنَّها قد استعملت بهذا الاتـــساع اللغـــوي العـــام لتشمل الطريقة المتبعة، وتشمل السيرة حسنة كانت أو سيئة، مـــستقيمة كانـــت أو معـــوجة، وقد بلغ ورودهما في القرآن عدّاً نحو ست عشرة مرة، أضيفت إلى لفظ الجلالة الصريح والظاهر، ثماني مرات منها وهي على النحو الآتي :

قال تعالى :﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَـــوْا مِـــنْ قَـــبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾(٢). وقوله تعالى أيضاً: ﴿ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِـــيهَا إِلاَّ قَلِيلاً۝ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً۝ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ (٣).

---

(١) الـــرازي "فخـــر الدين" : مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، ط دار الكتب العلمية ــ بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـــ - ٢٠٠٠م، ج٩ /١١.

(٢)سورة الأحزاب : الآية ٣٨.

(٣)سورة الأحزاب : الآيات ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ .

وقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلاَّ نُفُورًا۞ اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ سُنَّةَ الأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾(١). وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ۞ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ (٢). وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا۞ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾(٣).

وقد وردت لفظة سنة في القرآن مضافة إليه سبحانه بنون العظمة مرة واحدة، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلاً۞ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾(٤). وفي هذه الآية أيضاً وردت مضافة إلى الرسل.

وقد أوردها القرآن مضافة إلى من أرسل إليهم أربع مرات، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ﴾(٥)، وفي قوله تعالى:﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً ﴾(٦)، وفي قوله: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ سُنَّةَ الأَوَّلِينَ﴾(٧).

---

(١)سورة فاطر : الآيات ٤٢، ٤٣.

(٢) سورة غافر : الآيتان ٨٤ ، ٨٥.

(٣)سورة الفتح : الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .

(٤)سورة الإسراء : الآيتان ٧٦ ، ٧٧.

(٥)سورة الأنفال : ٣٨.

(٦)سورة الكهف : ٥٥.

(٧)سورة فاطر : ٤٣ .

وقــد وردت مــضافة إلى الاسم الموصول الدال على جماعة قد خلت من قبل مرة واحدة، في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُــوبَ عَلَــيْكُمْ وَاللَّـــهُ عَلِيــمٌ حَكِيــمٌ﴾(١).

وأخيراً وردت كلمة سنة مطلقة بغير إضافة على صيغة الجمع مرة واحدة في قــوله تعالــى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُروا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَــذِّبِينَ﴾(٢).

هذه هي استعمالات القرآن الكريم لكلمة سنة أو سنن، وهي تشير على الجملة إلــى نــسق اجتماعي وتاريخي معين، تشير إليه كله حيناً، وتشير إلى جزء من أجزائه أحيانا أخرى.

وهــذا النــسق هــو أنَّ الله عــز وجل خلق الناس وقد هداهم النجدين، ففيهم الاستعداد إلى الخير، وفيهم الميل إلى الشر جميعاً (٣).

وحــين نــتأمل العرض القرآني لهذا اللفظ، نجد بجلاء أنَّ السنة في القرآن قد تــشير إلى هذه المنظومة بوجه عام، وقد تشير إلى جزء من أجزائه يتصل هذا الجزء بالمنهج الذي أنزله، وطلب من الناس إتباعه، أو بسيرة الرسل مع أقوامهم، أو بأسلوب الكافــرين مع رسلهم، أو بسيرة المنافقين مع الأنبياء وتابعيهم، أو بموقف عن المسلمين في موقعة من المواقع.

ومــن يــتأمّل الآيــات يعلــم بأن القرآن الكريم حين يستعمل كلمة سنة، إنَّما يــستعملها بمعــناها اللغوي العام، ولم يتعرض القرآن الكريم يوماً إلى السنة، بمعناها الاصطلاحي.

ومن يتصور أنَّ القرآن الكريم قد استعمل كلمة سنة بمعنى ما ينسب إلى النبي مــن قــول أو فعــل أو تقرير أو صفة، وأن القرآن يعلق على هذا المعنى بالإثبات أو بالنفي يكون قد أخطأ خطأً كبيراً (٤).

---

(١)سورة النساء : ٢٦.

(٢)سورة آل عمران :الآية ١٣٧.

(٣) د. طــه الدسوقي حبيشي: السنة فى مواجهة أعدائها، ، مكتبة رشوان بمصر ،ط١، ١٤١٦هـــ – ١٩٩٥م ، ص٣١-٣٣ .

(٤) د. طه الدسوقي حبيشي: نفس المصدر ، ص٣٣.

السنة في الشرع أو في الاصطلاح:

لقد تعددت تعريفات السنة بتعدد أهل الاصطلاح .

فالسنة عند الفقهاء: أحد الأحكام الشرعة الخمسة المتعلقة بأفعال المكلفين وهي: الوجوب والحرمة والسنة والكراهة والإباحة فما يثاب علي فعله ويعاقب علي تركه هو الواجب أو الفرض . وما يثاب على تركه مع القصد ويعاقب على فعله هو المحرم أو الحرام وما يثاب علي فعله ولا يعاقب علي تركه مع القصد ولا يعاقب علي فعله هو المكروه وما استوي فيه الفعل والترك فهو الجائز أو المباح.

والسنة عند الأصوليين: هي كل ما صدر عن النبي من قول أو فعل أو تقرر مما يصلح أن يكون دليلا لحكم شرعي ولهذا فهم يقولون: إنَّ السنة هي الأصل أو المصدر الثاني للتشريع.

فالسنن القولية: هي أحاديث النبي ﷺ التي قلها في مختلف المناسبات مثل قوله: " إنَّما الأعمال بالنيات ", وقوله: " المسلم أخو المسلم " .

والسنن الفعلية: هي أفعاله مثل أدائه الصلوات الخمس بهيئتها وأركانها وأدائه مناسك الحج وقضائه بشاهد واحد ويمين المدعي.

السنن التقريرية: هي ما أقرَّه الرسولﷺ مما صدر عن بعض أصحابه من أقوال وأفعال بسكوته وعدم إنكاره أو بموافقته واستحسانه فيعد بهذا الإقرار والموافقة عليه صادراً عن الرسول ﷺ فالسنة عند الأصوليين دليل من أدلة الأحكام الشرعية وعند الفقهاء حكم شرعي يثبت للفعل بهذا الدليل .

السنة عند المحدثين: وهي كل ما أُثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خِلقية أو خُلقية أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها[(١)].

وعند جمهورهم: هي أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته وصفاته الخلقية والخلقية وسيرته قبل البعثة وبعدها. زادوا عن الأصوليين الصفات الخلقية التي تتناول هيئة النبي الجسمية كقول الراوي: كان عليه السلام ليس بطويل ولا بالقصير،

(١) مصطفى بن حسني السباعي :السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي (المتوفى: ١٣٨٤هـ) ص ٤٧ ،٤٨، ط٣.المكتب الإسلامي: دمشق - سوريا، بيروت - لبنان، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م/ وانظر:" قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث"، للقاسمي ص ٢٥-٣٨ط البابي الحلبي: ١٣٨٠ هـ.وتوجيه النظر إلى علوم الأثر "، لطاهر الجزائري.ص٢ /ط. مصر: ١٣٢٨ هـ .

وكالحـــديث عن لونه الأزهر ووجه المشرب بالحمرة وابتسامته، والهدف من هذا النوع الثناء والمدح وبيان مدى الكمال الإنساني الذي أعطاه الله تعالى لنبيه، وفي ذلك ترغيب بمحــبة صـــاحب الدعـــوة وعدم النفور من دعوته عليه السلام. وزادوا كذلك الصفات الخلقــية التـــي تتـــناول جميع شمائله وسيرته قبل البعثة تأسياً به وإقتداءً بأعماله؛ لأنَّه المعــصوم، وكذلك الأسوة الحسنة إلى يوم الدين، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ واليوم الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾(١).

والـــسنة بهذا المعنى الذي ذهب إليه المحدثون هي المصدر الثاني للتشريع بعد القـــرآن الكـــريم وهـــي المنهاج الأمثل لحياة الفرد والمجتمع، ويقوم هذا المنهج علي التيسير لا علي التعسير وعلى الشمول والتوازن.

جهود علماء السنة في تدوينها :

حرص المسلمون من أيام النبي ﷺ على تسجيل سنة رسول الله بعناية مطلقة، وتابعـــوها بدقة فائقة، ولقد اهتمَّ علماء أهل السنة بتدوين السنة الصحيحة وبذلوا جهوداً عظـــيمة مـــن أجل حمايتها من الوضع والوضاعين، وقد سلكوا طرقاً هي أقوم الطرقة العلمـــية للـــنقد والتمحيص، حتى نستطيع الجزم بأنَّ أهل الإسلام، هم أول من وضعوا قـــواعد النقد العلمي الدقيق للأخبار والمرويات، بين أمم الأرض كلها، وأنَّ جهدهم في ذلـــك جهـــد تفاخر به الأجيال، وتتيه به على الأمم الرجال ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وقد كان لعلماء السنة الجهود البالغة في حفظ السنة مما دُبّر لها من كيد،ويمكن أن نشير إلى بعض هذه الجهود فى النقاط التالية:

١ـــ إسناد الحديث:

لم يكن الصحابة بعد وفاة الرسول ﷺ يشك بعضهم في بعض ولم يكن التابعون يـــتوقفون عن قبول أي حديث يرويه صحابي عن رسول الله ﷺ، فلمَّا وقعت الفتنة وقام ابن سبأ بدعوته بألوهية علي ﷺ، وأخذ يشكك في السنة، عندئذ بدأ العلماء من الصحابة والتابعـــين يتخيـــرون في نقل الأحاديث ولا يقبلون منها إلاَّ ما عرفوا طريقها ورواتها واطمأنـــوا إلي ثقتهم وعدالتهم، حيث يقول ابن سيرين: "لم يكونوا يسألون عن الإسناد،

(١) سورة الأحزاب :الآية ٢١ .

فلمَّا وقعت الفتنة قالوا: سمُّوا لنا رجالكم, فينظر أهل السنة فيؤخذ حديثهم"[١]، وقد ابتدأ هذا التثبيت منذ عهد صغار الصحابة الذين تأخرت وفاتهم عن زمن الفتن[٢].

وقد أخذ التابعون في المطالبة بالإسناد حين فشا الكذب.

يقول أبو العالية: "كنَّا نسمع الحديث عن الصحابة فلا نرضى به حتى نركب إليهم فنسمعه منهم. ويقول ابن المُبارك: " الإسناد من الدين. ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء. ويقول ابن المبارك أيضاً: بيننا وبين القوم القوائم يعني الإسناد " [٣].

٢ــ التوثق من الأحاديث :

ويتم ذلك بالرجوع إلى الصحابة والتابعين، ولقد كان من عناية الله بسنة نبيه أن مد أعمار عدد من أقطاب الصحابة فقهاً؛ ليكونوا لهم مرجعاً ويهتدي الناس بهديهم.

فلمَّا وقع الكذب لجأ النَّاس إلى هؤلاء الصحابة يسألونهم ما عندهم أولا، ويستفتونهم فيما يسمعونه من أحاديث وآثار ولهذا كثرت رحلات التابعين والصحابة إلى مصر والشام لسماع الأحاديث الثابتة من الرواة الثقات [٤].

٣ــ نقد الرواة وبيان حالهم من صدق وكذب:

وقد وصل إلى هذا الباب علماء توصلوا إلى التمييز الصحيح بين الصادق والكاذب، والقوي من الضعيف، وقد أبلوا فيه بلاءً حسناً وتتبعوا الرواة ودرسوا حياتهم وتاريخهم وسيرتهم وما خفي من أمرهم وما ظهر، ولم تأخذهم في الله لومة لائم[٥].

وهناك أمثلة كثيرة استخدموها كقواعد لمعرفة من لا يؤخذ حديثهم، منها:

أ ــ من يكذب في حديثه مع العامة. (وقد اتفقوا على أن من عرف الكذب ولو لمرة واحدة تُرك حديثه).

---

(١) هذا الكلام مروي في مقدمة صحيح مسلم، وقد ساق في هذه المقدمته من الحجج الكثير من أقوال الصحابة والتابعين حتى يؤكد هذا المعنى.

(٢) الصلابي : فكر الخوارج والشيعة، ص ٢٤٩.

(٣) مقدمة صحيح مسلم ج١/١٠ .

(٤) الصلابي : فكر الخوارج والشيعة، ص٥٠ .

(٥) د. مصطفي السباعي: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص٩١.

ب ــ مــن يكــذب علي رسول الله ﷺ . (وقد أجمع العلماء علي أنَّه لا يؤخذ حــديث من كذب علي النبي ﷺ، كما أجمعوا على أنَّه من أكبر الكبائر[1]، واختلفوا في كفره فقال به جماعة، وقال آخرون بوجوب قتله واختلفوا في توبته هل تقبل أو لا؟.

ج ــ أصحاب البدع والأهواء :

فقــد اتفقــوا علــي أنَّه لا يُقبل حديث المبتدع إذا كفر ببدعته، وكذا إذا استحلَّ الكــذب، وإن لــم يكفر ببدعته، أما إذا لم يستحل الكذب فهل يقبل أم لا ؟ أو يفرق بين كــونه داعــية أو غيــر داعية ؟ قال ابن كثير: في ذلك نزاع قديم وحديث والذي عليه الأكثــرون التفــصيل بــين الداعية وغيره والذي يظهر أنهم يرفضون رواية المتبع إذا روي ما يوافق بدعته أو كان من طائفة عرفت بإباحة الكذب ووضع الحديث في سبيل أهــوائها ولهذا رفضوا رواية الرافضة وقبلوا رواية المبتد_ إذا كان هو أو جماعته لا يستحلون الكذب كعمران بن حطان "[2].

د ــ الزنادقة والفسّاق والمغفلون الذين لا يفهمون ما يحدثون:

وهــم كل من لا تتوافر فيهم صفات الضبط والعدالة والفهم، وقد وضع علماء الحديث القواعد لمعرفة الصحيح والحسن والضعيف من أقسام الحديث، ووضعوا قواعد لمعــرفة الموضــوع، وذكــروا علامــات يعرف بها، مثل ركاكة اللفظ وفساد المعني ومخالفته لصريح القرآن ولحقائق التاريخ في عهد النبي ﷺ وغيرها من العلامات[3].

وبــتلك الجهــود المــوفقة استقام الأمر بتوطيد دعائم السنة التي هي المصدر الثانــي للتشريع، واطمأن المسلمون إلى حديث نبيهم فأقصى عنه كل دخيل، ومُيز بين الــصحيح والحــسن والــضعيف، وصان الله شرعه من عبث المفسدين وتآمر الزنادقة والملحــدين, وقطــف المسلمون ثمار هذه الجهود المباركة التي كان من أبرزها تدوين السنة وعلم مصطلح الحديث وعلم الجرح والتعديل وعلوم الحديث[4].

---

(١) وقــد روي عن النبي ﷺ أنَّه قال : " من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النَّار "،رواه البخاري فــي صحيحه المطبوع مع فتح الباري (٢٠٢/١) كتاب العلم ، حديث (١١٠) ورواه مسلم في صحيحه المطبوع مع شرح النووي (٦٧/١، ٦٨) المقدمة.

(٢) د. مصطفي السباعي: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص٩٣ ــ ٩٤.

(٣) د. مصطفى السباعي: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص٩٤ ــ ٩٨.

(٤)د. مصطفى السباعي: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي_ص١٠٣

وقد قامت محاولات علي عهد الرسول وبعده للتشكيك بقيمة السنة أمثال ما حدّث به عبد الله بن عمرو قال: " كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش، فقالوا: إنَّك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ، وهو بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتابة فذكرت ذلك للرسول فقال: اكتب فو الذي نفسي بيده ما خرج مني إلاَّ حق " (١).

وربما كان من ردود الفعل لموقف قريش هذا من السنة قول النبيﷺ وهو يحذر من تركها:(أَلا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلالٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ) (٢).

وقد حاولوا بعد ذلك أن تصبغ هذه الدعوة الصادقة بصفة علمية علي يد أتباعهم بعد حين فاستدلوا لها بأن القرآن نزل تبياناً لكل شيء وأمثالها من الأدلة ذكرها الشافعي في كتاب الأم ورد عليها بأبلغ رد " إن القرآن الكريم لم يأت بشيء من ناحية ومنه الكثير مما يحتاج إلى بيان من ناحية أخري وسواء في ذلك العبادات والمعاملات ولا يقوم بذلك إلاَّ الرسول بحكم رسالته التي عليه أن يقوم بها وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾(٣). ثم يقول لو رددنا السنة كلها لصرنا إلى أمر عظيم لا يمكن قبوله فهو أن يأتي بأقل ما يسمي صلاة أو زكاة فقد أدى ما عليه، ولو صلَّى ركعتين في كل يوم أو أيام، إذا له أن يقول: ما لم يكن في كتاب الله فليس على أحد منه فرض، ولكن السنة بيَّنت لنا عدد الصلوات في اليوم وكيفيتها، والزكاة وأنواعها ومقاديرها، والأموال التي تجب فيها (٤).

---

(١)مسند الامام أحمد حديث رقم(٦٥١٠) وأبو داود في العلم حديث رقم(٣٦٤٦) وإسناده صحيح رجاله رجال الشيخين غير الوليد بن عبيدالله وهو ابن أبي مغيث العبدري فمن رجال أبي داود. قال الحافظ في التقريب:" ثقة"، وفي إسناده عبدالله بن الأخنس وثقه أحمد وابن معين وأبو داود والنسائي وقال ابن حبان يخطئ كثيراً قال الحافظ في الفتح (١٠/١٩٩):" وشذَّ ابن حبان فقال في الثقات : " يخطئ كثيراً " .

(٢)أخرجه أبو داود فى كتاب السنة برقم (٤٦٠٤) ٤/٢٠٠.

(٣) سورة النحل : الآية ٤٤.

(٤) محمد تقي الحكيم: السنة في الشريعة الإسلامية ص١١

المنكـــرون للسنة:

بـــدأ إنكـــار الـــسنة على أيدي طوائف ذكرها لنا التاريخ؛ فقد بدأت على أيدي الخـــوارج والـــشيعة، ثم انضم إليهم طوائف من المتكلمين وبخاصة من المعتزلة الذين انتـــسب إلـــيهم كثيـــر مـــن الزنادقة والفاسقين عن الملة،كالنظام الذي كان شاطرًا من الـــشطار، يغدو على سكر ويروح على سكر ويبيت على جرائرها، ويدخل في الأدناس والفواحش [(١)].

أمَّـــا الـــشيعة والخـــوارج فكلـــتا الطائفتين شغبت على السنة النبوية المطهرة وأنكـــرتها، فالشيعة لم يقبلوا من سنة النبي ﷺ إلاَّ القليل الذي نُقل إليهم عن طريق من يـــدين بعقيدتهم في الإمامة ويشايع آل البيت، ولو أننا عرفنا أنهم لم يوالوا من الصحابة ﷺ إلاَّ بـــضعة عشر صحابيًا هم فقط الذين رضي عنهم الشيعة وأخذوا عنهم، لأدركنا ذلك القدر الضئيل من سنة النبي ﷺ الذي قبله الشيعة (الرافضة) وعملوا به، وذلك الكم الهائل من السنة النبوية التي رفضوها وأنكروها؛ لأنَّها أتت عن جمهرة الصحابة الذين لا يرضـــى عـــنهم الـــشيعة، فالـــشيعة ـــ إذن ـــ رفضوا السنة لأنَّهم طعنوا في عدالة الـــصحابة ﷺ لأنَّهـــم بايعوا أبا بكر ﷺ خليفةً لرسول الله ﷺ ولم يبايعوا علياً الذي كان هـــو الخلـــيفة من وجهة أنظار الشيعة، والشيعة منهم معتدل ومغال، فالمعتدلون فسّقوا الـــصحابة ﷺ والمغالون كفّروهم، ولم يستثن الشيعة من ذلك سوى عدد يزيد قليلاً على أصابع اليدين .. على أنَّ الشيعة (الرافضة) أضافوا إلى إنكارهم السنة ـــ على الوضع الـــذي ذكرناه ـــ إضافة جديدة جعل جرمهم في هذا الباب مضاعفًا، ذلك أنَّهم لم يكتفوا بإنكـــار الحديث ورفض السنة، وإنَّما لجأوا إلى وَضع ما أسموه أحاديث، ونسبوها إلى النبي ﷺ، فألَّفوا كلامًا على هيئة أحاديث الرسول ﷺ في تعظيم أئمتهم، وتأكيد نحلتهم، وتأصيل معتقدهم، وأيضًا في ذم مخالفيهم وعقائدهم. وقد كان لهذه الأحاديث المزعومة الموضوعة على رسول الله ﷺ دور أصيل في حجية التشريع وأصول الدين عندهم[(٢)].

وإذا نظـــرنا إلـــى الـــروافض نجد أن عقيدة الإمامة والولاية هي السر وراء مـــوقفهم هذا من السنة النبوية الشريفة ،فالسنة عند الرافضة يختلف مفهومها عن مفهوم

---

(١) ابـــن قتيـــبة: تأويل مختلف الحديث: لعبدالله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الدينوري ،تحقيق : محمد زهري النجار ط : دار الجيل – بيروت ، ١٣٩٣ – ١٩٧٢، ص ١٧.

(٢) د. محمود محمد مزروعة: شبهات القرآنيين حول السنة النبوية، ص٣٨ (موقع الإسلام).

جمهور أهل السنة، فإذا كانت السنة عند أهل السنة هي ما أُثِر عن النبي ﷺ من قول أو فعـل أو تقريـر، إلاَّ أنَّ المعصوم ليس رسول الله وحده باعتباره نبيًّا ورسولاً, بل معه الأئمة الاثنا عشر، يقول محمد تقي الحكيم: " وألحق الشيعة الإمامية كل ما يصدر عن أئمتهم الاثنا عشر من قول أو فعل أو تقرير بالسنة الشريفة " (١).

وهـؤلاء الأئمـة معصومون منذ طفولتهم لا يخطئون لا عمداً ولا سهواً ولا نـسياناً؛ لهـذا فكـل ما ينسب لهم من أحاديث فهي صحيحة عند الرافضة دون شرط اتـصال لـسند، فقول الأئمة عندهم يجري مجرى قول النبي ﷺ وهو حجة على العباد وواجـب الاتباع، كما أنَّ القارئ لكتب الحديث عندهم يجد معظم رواياتها عن أئمتهم لا يجد إلاَّ القليل منها هو المُسند إلى النبي ﷺ وأكثر ما يرويه في الكافي ــ أعظم كتبهم- واقـف عند جعفر الصادق، وقليل منها ما يعلو إلى أبيه محمد الباقر، وأقل من ذلك ما يعلو إلى أمير المؤمنين علي ﷺ ونادراً ما يرفع سنده إلى النبي ﷺ.

حجية السنة :

إنَّ النبـي ﷺ يـبلّغ عن ربه وحيه، والوحي الذي يهبط على النبي صلى الله علـيه وسلم قسمان، قسم منه هو القرآن الكريم الذي أمرنا الله عز وجل بإتباع أحكامه والتعبد بتلاوته، فهو من عند الله سبحانه لفظه ومعناه.

والنبـيﷺ مأمـور بـإبلاغ هـذا القسم من الوحي للناس على أنه كلام رب العالمين، قد أوحى به إلي النبيﷺ، وقد وجده النبي من نفسه بعد الوحي، وعلم أنه ليس مـن ذاتـه وإنمـا الوحي قد أتى إليه من الخارج وهو ليس من مماثل، وإنما هو من موجـود أعلـى، هـو المستحق للعبادة وحده، وقد أمر عباده من خلال هذا الوحي أن يطيعوه.

والنبـي حـين يبلغ عن الله عزَّ وجلَّ هذا النوع من الوحي، إنَّما يبلغ أمراً هو شاهده الوحيد، إذ لم يكن معه إنسان آخر شهد هذا الوحي، أو وجده من نفسه، وإذا كان النبي هو شاهد هذا الوحي الوحيد وهو الذي قد وجده من نفسه في حالة من الانفراد لم يـشاركه فيها غيره، فإنَّه مما لا شك فيه أن يكون النبي وحده هو القادر على أن يشرح

(١) محمد تقي الحكيم: سنة أهل البيت، ص٩.

هـذا الوحـي للناس بعد أن يبينه الله له بواسطة إلهام يقذفه الله في صدره، أو بواسطة نوع آخر من الوحي ينزل على النبي بالمعنى، وتترك للنبي مساحة التعبير عنه بلفظه.

فـإذا مـا عبر النبي عن هذا الوحي الذي هو من عند الله محتوياً على اللفظ والمعنـى وكلاهمـا لله، فإذا ما عبَّر النبي عن هذا الوحي يشرحه للناس بقوله أو بفعله يكون قد عبَّر عنه بنوع آخر من الوحي معناه من عند ربه ولفظه من عنده. وهذا أمر مقبول في العقول، منصوص عليه ضمن المسموع والمنقول.

أمـا قابلـية العقـول له فمرجعها ما قلناه وهو أنَّ النبي ﷺ هو شاهد الوحي الوحـيد، وهـو الـذي وجده من نفسه دون سواه، وكان عليه هو أن يؤديه للناس، ثم يـشرحه لهم حتى يفهموه ويدركوه ويعملوا بمقتضاه. تلك قضية العقل، وهو لا يحتاج فوقها إلى برهان يؤيدها أو إلى دليل يدعمها(١).

فلقـد اشتدت عناية القرآن الكريم بتلك المسألة فوجّه إليها آيات كثيرة تنوعت بـين آيات تأمر في وضوح بوجوب الإيمان به صلى الله عليه وسلم، وبين آيات أخرى تأمر بوجوب طاعته، طاعة مطلقة، فيما يأمر به، وينهى عنه، وبين آيات أخرى تنهى عـن مخالفـته وتحـذِّر من ذلك وتبين جزاء المنافقين المرجفين في دين الله عز وجل العاملـين على هدم كيان السنة النبوية، والذين حصروا معنى الآيات الواردة في طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، في طاعته في القرآن الكريم فقط(٢).

ونحـن لـن نستطيع ذكر هذه الآيات كلها – وإلا طال المقام بنا جداً_، ولكننا سـننبه إلى بعض هذه الآيات فقط، ودلالتها على حجية السنة النبوية الشريفة ووجوب التمسك بها.

١ـــ من أهم الآيات دلالة على حجية السنة، ووجوب التمسك بها قوله تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَـضَيْتَ وَيُـسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٣). يقول ابن القيم: " أقسم سبحانه بنفسه، وأكده بالنفي قبله علـى نفـي الإيمان عن العباد، حتى يحكِّموا رسوله في كل ما شجر بينهم، من الدقيق

(١) د. طه الدسوقي: السنة النبوية في مواجهة أعدائها، ص٢٦٨ .

(٢) د. مـروان محمد شاهين: تيسير اللطيف الخبير في علوم حديث البشير النذير، طبعة مكتب فوزي الشيمي للطباعة ـــ طنطا، (بدون)، ص٤٣.

(٣) سورة النساء الآية (٦٥).

والجليل، ولم يكتف في إيمانهم بهذا التحكيم بمجرده، حتى ينتفي عن صدورهم الحرج والضيق عن قضائه وحكمه، ولم يكتف منهم أيضاً بذلك حتى يسلموا تسليما، وينقادوا انقيادا "[1].

٢ــ ويقول رب العزة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ امنوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [2]. ودلالة الآية على حجية السنة من عدة وجوه:

أولاً : النداء بوصف الإيمان في مستهل الآية : " يَاأَيُّهَا الَّذِينَ امنوا " ومعنى ذلك أنَّ المؤمنين لا يستحقون أن ينادوا بصفة الإيمان إلاَّ إذا نفذّوا ما بعد النداء وهو طاعة الله تعالى، وطاعة رسول الله ﷺ، وأولى الأمر[3].

ثانياً: تكرار الفعل " أَطِيعُوا " مع الله عز وجل، ومع رسوله ﷺ وتكرار ذلك في آيات كثيرة ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾[4]. وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ واتوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[5].

يقول الشاطبي: " تكراره الفعل "وَأَطِيعُوا" يدل على عموم الطاعة بما أتى به مما في الكتاب، ومما ليس فيه مما هو من سنته " [6].

ومما هو جدير بالذكر هنا أن فرض الله عز وجل طاعة رسوله ليست له وحده بل هي حق الأنبياء جميعاً قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[7].

---

(١)أبـي عبد الله محمد بن أبي بكر :أعلام الموقعين عن رب العالمين، ، الشهير بابن قيم الجوزية، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ،/ط مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ ،ج١ /٥١/وانظر: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن قيم الجوزية، تحقيق سيد إبراهيم، ، ط دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، ج٢/٥٢٠.

(٢) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٣) مروان شاهين : تيسير اللطيف الخبير، ص٤٤.

(٤) سورة المائدة: الآية ٩٢.

(٥) سورة النور: الآية ٥٦.

(٦)الشاطبى: (إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي ت ٧٩٠هـ) الموافقات، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان،: دار ابن عفان، ط ١ سنة١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ج٣/٢٢٩

(٧) سورة النساء : الآية ٦٤.

فــرب العزة جل جلاله يقرر هنا قاعدة " أنَّ كل رسول جاء من عنده جل جلاله يجب أن يطاع " (١).

ولماذا لا يطاع هذا الرسول الذي جاء بالمنهج الحق الذي يُصلح الخلل في تلك البيــئة التــي أرســل إلــيها؟ إنَّ عدم الطاعة ــ حينئذ ــ هو نوع من العناد والجحود والتكبر. كما أن في عدم الطاعة اتهاماً للرسالة بالقصور، واتهاماً للرسول في عصمته مــن الكذب في كل ما يبلغ به عن ربه عز وجل من كتاب أخبرنا عنه بقوله "هذا كتاب الله"، ومن سنة مطهرة أخبرنا عنها بقوله: " أوتيت القرآن ومثله معه"(٢)، وقوله : "وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله"(٣).

وأمَّــا الآيات الدالة على وجوب طاعة الرسول ﷺ طاعة مطلقة فيما يأمر به، وينهــى عــنه، بقــوله تعالى: ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾(٤)، وهناك آيات كثيرة لم نتعرض لذكرها خشية الإطالة .

فــإذا انتقلنا بعد ذلك إلى الآيات التي تحذر من معصية الرسول ﷺ وتنهى عن مخالفــته نجــدها كثيــرة ونشير أيضاً إلى بعضها قال تعالى:{وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ}(٥) وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُــلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا.يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾(٦).

إنَّ الــسنة النــبوية أحد قسمي الوحي الإلهي الذي نزل به جبريل الأمين علي النبــيﷺ، والقــسم الآخــر من الوحي هو القرآن، والفرق بينهما أنَّ القرآن وحي متلو والسنة وحي غير متلو، ولا يستثني من ذلك الأحاديث التي كان يقولها ﷺ باجتهاده لأنَّ النبيﷺ لا يُقر علي الخطأ؛ بل ينزل الوحي بالتصويب والتعديل فمردُّ السنة إلى الوحي

(١) الشاطبي : الموافقات، ج٣/٢٢٨.

(٢) سبق تخريجه ص١٥.

(٣) رواه ابن ماجه في سننه برقم (١٢)، والترمذي في سننه برقم (٢٦٦٤).

(٤) سورة الحشر: الآية٧.

(٥) سورة النساء: الآية ١٤.

(٦) سورة النساء: الآيتان٤٢،٤١.

في جميع الأحوال ولهذا قال تعالى في وصف النبي: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾(١).

يقـول الإمام الشوكاني: ثبوت حجية السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية ولا يخالف في ذلك إلا من لاحظ له في دين الإسلام (٢).

ولا شـك أنَّ الإمام الشوكاني قد استفاد هذا الحكم مما قرأه من نصوص كتاب الله عـزَّ وجـلَّ، وهـي جميعها نصوص تُثبتُ حُجيَّة السُّنة بشكل قاطع لا يحتاج إلى جـدال، وبأساليب متنوعة تحمل على المطالعة وتورث اليقين، وقد سبق ذكر أمثلة من هذه النصوص.

السُّنة عند الأمامية:

الـسنة عـندهم هي ما تحكي قول المعصوم أو فعله أو تقريره، وربما عرَّفها بعـضهم بأنَّهـا " قـول المعصوم أو حكاية قوله أو فعله أو تقريره "، ليدخل فيه أصل الكلام المسموع عنه(٣).

فقـد رووا عـن حمـاد عـثمان وغيره أنهم قالوا : سمعنا أبا عبد الله"جعفر الـصادق" يقـول " حديثـي حديث أبي , وحديث أبي حديث جدي وحديث جدي حديث الحـسين وحـديث الحـسين حديث الحسن وحديث حديث أمير المؤمنين عليهم السلام وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله ﷺ وحديث الرسول قول الله عز وجل"(٤).

وذكـروا أنَّ علياً قام يخطب بينهم وقال: " يا أيها الناس إنَّ رسول الله ﷺ أسرَّ إلـيَّ ألـف حـديث في كل حديث ألف باب لكل باب ألف مفتاح، وإنِّي سمعت الله جل

---

(١) سورة النجم :الآيتان ٣،٤.

(٢) الـشوكاني: إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول: طبع دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت، ١٣٩٩هـ ــ ١٩٧٩م ، ص٣٣

(٣) البهـسودي: مـصباح الأصول، ج٣، ص٤١٣. وانظر مقدمة أبي الفضل الطبرسي في " مشكاة الأنوار في غرر الأخبار " .

(٤) الكليني: أصول الكافي، ج١، ص٥٣. كتاب فضل العلم وقد قال المجلسي: ضعيف انظر مرآة العقول، ج١/١٨٢ .

جلالــه يقول: " يوم ندعو كل أناس بإمامهم "(١)، وإني أقسم لكم بالله ليبعثن يوم القيامة ثمانية نفر يدعون بإمامهم وهو خب ولو شئت أن أسميهم لفعلت " (٢).

فالأئمــة ــ عندهم ــ هم خزنة علم الله ووحيه, وقد عقد الكليني بابا سماه "أنَّ الأئمة عليهم السلام ولاة أمر الله وخزنة علم" (٣)، وباباً ثانياً بعنوان " إن الأئمة يعملون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة و الأنبياء والرسل عليهم السلام " (٤).

– وقال المازندراني في شرح أصول الكافي: " إنَّ حديث كل واحد من الأئمة الطاهــرين قول الله عز وجل، ولا اختلاف في أقوالهم كما لا اختلاف في قوله تعالى. ووجــه الاتحــاد ظاهــر لمن له عقل سليم وطبع مستقيم لأنَّ الله عز وجل وضع العلم والأســرار في صدر النبي ﷺ وهكذا من غير تفاوت واختلاف وعلي هذا ظهر معني الاتحاد.

إلى أن قال: " فعلى هذا يجوز من سمع حديثاً عن أبي عبد الله عليه السلام أن يرويه عن أبيه أو عن أحد من أجداده بل يجوز أن يقول قال الله تعالى، قلت: هذا حكم آخر غير مستفاد من هذا الحديث إلاَّ أنه يجوز ذلك بل أولويته" (٥).

وقد عرف السنة محمد باقر الصدر فقال: " هي كل بيان صادر من الرسولﷺ أو أحد الأئمة المعصومين عليهم السلام والبيان الصادر منهم ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١– البيان الإيجابي القولي: وهو للكلام الذي يتكلم به المعصوم عليه السلام.

٢– البيان الإيجابي الفعلي: وهو الفعل الذي يصدر من المعصوم عليه السلام.

---

(١) سورة الإسراء:الآية ٧١.

(٢) الصدوق: الخصال، ص٦٤٤ .

(٣) الكليني: أصول الكافي، ج١/١٩٢ – ١٩٣.

(٤)الكليني:أصول الكافي، ج١/٢٢٣ – ٢٢٧ .

(٥) المــصدر السابق: ج١، ص٢٢٥ – ٢٢٦. وسار المجلسي في بحار الأنوار علي هذا المنوال فقد عقــد باباً سماه "أنه صلوات الله عليه وسلم كان شريك النبي في العلم دون النبوة " ، وأنَّه علم كلما علم النبــي ﷺ وأنّــه بحــار من سائر الأنبياء وذكر منها ١٢ رواية تؤكد كلامه انظر بحار الأنوار، ج٢، ص٢٢٥ – ٢٢٦.

٣- البيان السلبي: وهو تقرير المعصوم عليه السلام أي سكوته عن وضع معين بنحو يكشف عن رضاه بذلك الوضع وانسجامه مع الشريعة ويجب الأخذ بكل هذه الأنواع من البيان الشرعي .

وإذا دلَّ شيء منها علي عنصر مشترك من عناصر عملية الاستنباط تثبت ذلك العنصر المشترك واكتسب طابعه الشرعي "(١). ولعلَّ السبب الأساسي في تمسك الإمامية بأحاديث الأئمة هو القول بعصمتهم، قال حسين عبد الصمد العاملي الإمامي(٢): " وإنما تمسكنا بهذه الأئمة الاثنا عشرية من أهل بيت النبي عليهم السلام، ونقلنا أحاديثنا وأصول ديننا عنهم لما ثبت عندنا من عصمتهم لوجوب كون الإمام معصوماً فلا يؤمن بوقوع الخطأ منه ويستقيم النظام وتتم الفائدة بنصه كما تقرر في الكلام وغيرهم ليس بمعصوم إجماعاً (٣). ونظراً لاعتقادهم فالأئمة من آل البيت ليسوا فقط من قبيل الرواة عن النبيﷺ والمحدثين عنه ليكون قولهم حجة من ناحية أنَّهم ثقاة في الرواية؛ بل لأنَّهم هم المعصومون من الله علي لسان نبيه لتبليغ الأحكام الواقعة. فلا يحكمون إلاَّ عن علم من عند الله تعالى، وهم مصدر للتشريع فقولهم سنة لا مجرد حكاية للسنة.

أمَّا عن حجية هذه السنة فيقول فيها جعفر السبحاني: " إنَّ الأئمة المعصومين عليهم السلام أخذوا أحاديثهم من جدهم رسول الله خلفاً عن سلف وكابراً عن كابر، رووها للناس وإنَّ هذا النوع من الأحاديث والروايات التي رواها كل إمام لاحق عن الإمام السابق إلى أن يصل السند إلى رسول الله ﷺ كثيرة في أحاديث الشيعة الإمامية.

والأحاديث والروايات التي تنقل عن أئمة أهل البيت المعصومين بأسانيد صحيحة، ويجب العمل بمضمونها والإفتاء وفقها إلى أن قال: " ولقد صاحب عليﷺ رسول الله ﷺ في فترة بعثته كلها؛ ولهذا استطاع أن يحفظ ويدوِّن قدراً عظيماً من

---

(١) السيد محمد باقر الصدر: المعالم الجديدة في الأصول، ص٣٢.

(٢) هو والد البهائي العاملي ولد ١٩٨هـ ومات ودفن بالبحرين روي عن شيخهم حسن بن جعفر الكركي وشهيدهم الثاني من وصفاته " وصول الأخبار إلى أصول الإخبار وشرح القواعد وحاشية الإرشاد"، وقال حسن الصدر أثناء ترجمته نقلاً عن رياض العلماء " كان عالما جليلاً أصولياً متكلماً فقيهاً محدثاً " إلى أن قال: "كان لـه ميل إلى التصوف ورغبة في مدح مشايخ الصوفية ونقل كلماتهم:انظر "تكملة أمل الآمل، ص٧٤-٧٧ للسيد حسن الصدر ص٨١: ٨٣.

(٣) حسين بن عبد الصمد العاملي: وصول الأخبار إلى أصول الإخبار، ص٢٠٢.

أحاديــث رسول الله ﷺ في كتاب[1]، ولم ينقلوا لنا فيه إلاَّ بعض الأحكام ومنها أنَّ النساء ليس لهن إلاَّ من عقار الرجل إذا تُوفي عنهن شيء [2].

وهــم يأخــذون بهــذا النص من ذلك الكتاب ويُعرضون عن نصوص القرآن العامــة، والتــي لــم تُفرّق بين عقار أو غيره ولكنَّ القرآن العظيم لا يساوي شيئاً في نظــرهم أمــام هذا الكتاب الموهوم فلعلَّهم أرادوا بهذا النص حرمان زوجات النبي ﷺ ولكنَّ هذا الحكم يُخالِف ما يدَّعونه بأنَّ لفاطمة نصيب في ذلك.

ومن الجدير بالذكر أنَّ هذا الكتاب بقي عند أهل البيت يتوارثه إمام عن إمام قد نقل الإمام الباقر والصادق عليهم السلام روايات عديدة منه وربما اطلعوا بعض شيعهم عليه [3].

فالاثنا عشرية يرفضون سنة الرسول ﷺ التي وردت عن طريق الصحابة، في حــين أنَّهم يقبلون الأحاديث الواردة عن طريق الأئمة فقط، ولا تقبل إلا الأحاديث التي رُويت عن سلمان وأبى ذر والمقداد ويردون أحاديث أبى هريرة وعائشة وغيرهما ممن ليسوا من أهل البيت فى نظرهم .

ونظــرا لاغتــصاب الصحابة للإمامة والولاية في نظر الاثنا عشرية وقد وقع التــشكيك فيما روي عنهم من أحاديث؛ لهذا طعنت الرافضة في الكتب الصحاح وعلى

---

(١) يطلــق علــى هذا الكتاب عند الإمامية الجامعة أو الصحيفة ويدّعون أنَّها من إملاء رسول الله ﷺ وبخــط علي ﷺ فيها جميع الحلال والحرام حتى إرش الخدشي قد نسب إلى أبي عبد الله أنَّه قال عندما سُــئِل عــنها: تلك صحيفة طولها سبعون زراعاً في عرض الأديم, مثل فخد الفالج فيها كل ما يحتاج الــناس إليه وليس من قضية إلاَّ فيها حتى إرش الخدشي " . (انظر المجلسي : بحار الأنوار، ج٢٦ ، ص٢٢).

روي صــاحب البــصائر عــن أبي عبد الله يقول ما ترك علي شيعته محتا جون إلي أحد في الحلال والحــرام حتى إن وجدنا في كتابه ارش الخدشي، ثم قال: أما انك إن رأيت كتابه لعلمت أنه من كتب الأولــين وهــم ينقلون عن أنهم قالوا: فنحن نتبع ما فيها ولا نعدوها (انظر الصفار: بصائر الدرجات، ص١٦٦) .

(٢) الصفار: بصائر الدرجات، ص١٨٥ . الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج٢٦، ص٢١٢.

(٣) جعفــر السبحاني: العقيدة الإسلامية علي ضوء مدرسة أهل البيت،ط١، قم ١٤١٩هــ – ١٩٩٨م. نقله إلى العربية جعفر الهادي : ص٣١٧ -٣١٨

رأسها صحيح البخاري ومسلم، وكل حديث في سنده اسم أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة ومعاوية وباقي الصحابة فهو مردود لا يعتد به عندهم.

وإذا كان أهل السنة يشترطون شروطاً صارمة بقبول الأحاديث سنداً ومتناً؛ فالاثنا عشرية لهم شروط لقبولها من أهمها: نسبتها للأئمة، فأحاديث الأئمة معصومة من الوضع، كعصمة الأئمة في نظر الرافضة وعقيدتهم في السنة متمثلة في:

١ـ إنكار إمامة أحد الأئمة الاثنا عشر كفر بالإجماع:

كما قال بن بابوية القمي (الصدوق): " واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من بعده عليهم السلام، أنَّه بمنزلة من جحد نبوة جميع الأنبياء واعتقادنا فيمن أقر بأمير المؤمنين وأنكر واحداً من بعده من الأئمة أنه بمنزلة من أقر بجميع الأنبياء وأنكر نبوة محمد ﷺ "(١).

وقال المفيد " اتفقت الإمامية على أنَّ من أنكر إمامة أحد من الأئمة وجحد ما أوجبه الله تعالى من فرض الطاعة فهو كافر ضال يستحق الخلود في النار "(٢).

٢ـ الإمام معصوم كالأنبياء:

وهذا الأمر مشهور عندهم في مذهبهم، كما يقول المفيد: " أنَّ الأئمة القائمين مقام الأنبياء في تنفيذ الأحكام، وإقامة الحدود وحفظ الشرائع وتأديب الأنام معصومون كعصمة الأنبياء وأنَّهم لا يجوز منهم صغيرة إلاَّ ما قدمت ذكر جوازه علي الأنبياء فإنَّه لا يجوز منهم سهو في شيء في الدين ولا ينسون شيئاً من الأحكام وعلى هذا فذهب سائر الإمامية إلا من شذ منهم فتعلق بظاهر روايات لها تأويلات على خلاف ظنه الفاسد من هذا الباب"(٣).

وهذا هو ما ذهب إليه المجلسي أيضاً إذ يقول: " وذكرت أن أصحابنا الإمامية أجمعوا علي عصمة الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم من الذنوب الصغيرة والكبيرة عمداً وخطئاً ونسياناً قبل النبوة والإمامة وبعدهما بل من وقت ولايتهم إلى أن يلقوا الله

---

(١) ابن بابويه القمي:الاعتقادات ص١٠٣

(٢) المفيد: أوائل المقالات، ص٤٤. والمجلسي: بحار الأنوار، ج٨ ص٣٦٦ .

(٣) المفيد: أوائل المقالات، ص٦٥.

سبحانه وتعالى"[١]، والمجلسي ينقل الإجماع على العصمة، خلافاً للمفيد الذي ذكر شذوذ البعض عن هذا الإجماع.

٣ـ الأئمة يُوحى إليهم وهم مؤيدون بروح القدس:

وهذا القول أيضاً قالوا به، وقد عقد الكليني في الكافي باباً عنوانه: باب الروح التي يسدد الله بها الأئمة عليهم السلام، ومما جاء فيه أنَّه رُوي عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عن قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٢]. قال خلقٌ من خلق الله عز وجل أعظم من جبرائيل وميكائيل كان مع رسول الله يخبره ويسدده وهو مع الأئمة من بعده"[٣]. وقد روى الكليني في هذا الباب ستة أحاديث بشأن هذا المعني .

٤ـ طرق تلقي العلم عند الأئمة تضاهي ما يحصل لرسول الله عند تلقيه الوحي من ربه:

فقد عُقد في الكافي باب بعنوان جهات علوم الأئمة روي فيه عن أبي الحسن الأول موسي عليه السلام قال: قال: مبلغ علمنا علي ثلاثة وجوه: ماضي وغابر وحادث، فأمَّا الماضي فمسفر، وأما الغابر فمزبور، وأما الحادث فقذف في القلوب، ونقر فى الأسماع وهو أفضل علمنا ولا نبي بعد نبينا[٤].

وقد شرح الماضي المفسر هو ما حدث به رسول الله وأما الغابر المزبور هو ما كتب علي بن أبي طالب بيده إملاء من رسول الله أمر من الملائكة وأما الحادث فهو علم يحدث لأئمتهم المعصومين من الله مباشرة لا واسطة ملك ثم هذا الحادث متنوع فهو إما قذف في القلوب فيحدث العلم في قلب الإمام المعصوم بمجرد القذف وإما نقر في الإجماع حيث يحدثه الملك بما كان أو يكون .

يقول الشيخ كاشف الغطاء: " إن حكمة التدرج اقتضت بيان جملة من الأحكام وكتمان جملة ولكنه سلام الله عليه أودعها عند أوصيائه كل وصي يعهد بها الآخر

---

(١) المجلسي: بحار الأنوار، ج١٧ ص١٠٨ .

(٢) سورة الشورى: الآية ٥٢ .

(٣) الكليني: أصول الكافي، ج١، ص٢٧٣.

(٤) الكليني: أصول الكافي، ج١، ص٢٦٤.

لينشرها في الوقت المناسب لها حسب الحكمة من عام مخصص أو مطلق مقيد أو مجمل مبين إلى أمثال ذلك فقد يذكر النبي عاما ويذكر مخصصه بعد برهة من حياته وقد لا يذكرها أصلاً بل ودعه عند وصيه إلى وقته "[1].

وقد عقد الكليني عدة أبواب في كتابه الكافي روى فيها عدة أحاديث ليؤكد هذا المعنى، منها: باب أنَّ الأئمة عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله عز وجل أنَّهم يعرفونها على اختلاف ألسنتهم[2].

وباب فيه ذكر الصحيفة الجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليهما السلام[3].
وباب أن الله عز وجل لم يعلم نبيه علما إلا أمره أن يعلمه أمير المؤمنين عليه السلام وأنه شريكه في العلم[4].

فيروي الكافي عن عبد الرحمن بن كثير قال : " سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول نحن ولاة أمر الله وخزنة علم الله وعيبة وحي الله "[5].

ويروي عن خيثمة أنَّه قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا خيثمة نحن شجرة النبوة وبيت الرحمة ومفاتيح الحكمة ومعدن العلم وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وموضع سر الله ونحن وديعة الله في عباده ونحن حرم الله الأكبر ومن خفرها فقد خفر ذمة الله وعهده "[6].

وقد ادعوا أنَّ العلم المستودع والمخزون عند الأئمة وهو:

١ـ ألف باب من العلم فتح من كان باب ألف باب .

٢ـ الجامعة.

٣ـ الجفر .

٤ـ مصحف فاطمة، فيه علم ما كان وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة.

٥ـ قول الإمام كقول الله ورسوله .

---

(١) كاشف الغطاء: أصل الشيعة وأصولها، ص٢٣٣.

(٢) الكليني: أصول الكافي، ج١، ص٢٢٧.

(٣) المصدر السابق، ج١، ص٢٣٨.

(٤) المصدر السابق، ج١، ص٢٦٣.

(٥) الكليني: أصول الكافي، ج١، ص١٩٢.

(٦) المصدر السابق، ج١، ص٢٢١.

وهـذه قاعـدة هامة لديهم ولها ما يؤيدها من كتبهم فيقول المازندراني: " إن حديث كل واحد عن الأئمة الطاهرين قول الله عز وجل ولا اختلاف في أقوالهم كما لا اختلاف في قوله تعالى "(١).

وقالـوا " يجوز من سمع حديثا عن أبي عبد الله أن يرويه عن أبيه أو من أحد من أجداده بل يجوز أن يقول قال الله تعالى "(٢).

وبهـذا الكـلام فهم يمحون كل ما قرره علماء الحديث وغيرهم لثبوت صحة الحـديث المنسوب إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم من اتصال السند وعدالة رواته وموافقته للأصول العامة فصدقه وعدم غرابته ونكارته وعدم مخالفته للقرآن والأحاديث الصحيحة الأخرى.

فقـد عقـد الكلينـي أبواباً متعلقة بهؤلاء الأئمة المعصومين وأنَّ الأئمة عليهم السلام إذا شاءوا إن علموا علموا "(٣).

يقـول محمـد حـسين آل كاشف الغطاء في تقرير هذا الأمر عند طائفة " إن الـشيعة لا يعتبـرون عن السنة ــ أعني الأحاديث ــ إلاَّ ما صحَّ لهم من طرق أهل البـيت أمـا ما يرويه مثل أبي هريرة وسمرة بن جندب وعمرو بن العاص ونظرائهم فليس لهم عند الأمامية من الاعتبار مقدار بعوضة "(٤).

وهـذا القول في السنة النبوية مبني علي معتقدهم في صحابة رسول الله ﷺ من أنَّهـم ارتـدوا لصرفهم الخلافة عن علي إلى أبي بكر ولا يستثنون من هذا الحكم عن الصحابة إلاَّ ثلاثة في معظم رواياتهم وهم بهذا المبدأ يعزلون أنفسهم عن المسلمين وهذا المبدأ في رفض مرويَّات الصحابة يفضي إلى فُقدان صفة التواتر في نقل شريعة القرآن وسنة سيد الأنام ماداموا يحكمون علي النقلة هذا الحكم.

ويحـصر من اعتبارهم الصحة المنقول بما جاء عن طريق الآحاد فضلاً عن الـواحد وهـو علـي رضي الله عنه الذي يجعلونه المصدر الوحيد للتلقي بعد وفاة الرسول ﷺ وهذا أساس وضعه زنديق لهم الدين والطعن في شريعة سيد المرسلين.

(١)المازندراني: شرح أصول الكافي، ج٢، ص٢٢٥

(٢)المصدر السابق:نفس الموضع

(٣) الكليني: أصول الكافي، ج١، ص٢٥٥, ٢٦٠, ٢٦٤.

(٤) كاشف الغطاء: أصل الشيعة، ص٢٣٦.

تلقيهم السنة عن حكايات الرقاع أو التوقيعات الصادرة عن الإمام:

فهـؤلاء القـوم الذين يردون ما جاء عن طُرق الصحابة الذين أثنى عليهم الله ورسـوله ويعـدون مـن أوثق طرائقهم "حكايات الرقاع" وحقيقة أنَّه لما تُوفي الحسن العـسكري سـنة ٢٦٠هـ، وقد زعم الشيعة أنَّ الإمام الحادي عشر لم يكن له عقب[١] فكانـت هذه الواقعة قاصمة الظهر للشيعة الاثنا عشرية، لأنَّه يكذب أصل معتقدهم في المهـدي المنتظر وحتى في استخلاف الاثنا عشر إماماً بعضهم بعض، وأنَّ الكتب مع هـذا المهـدي، الذي ليس له وجود في الأصل، وهذا دلالة على عدم وجود الكتب التي ادعوا أنَّها تظهر معه، أي أنَّهم تأتي على معتقدهم كله من القواعد.

فأساس دينهم هو الإمام الذي يزعمون أنَّ قوله قول الله ورسوله، والإمام توفي ولـم يخلـف ولـداً يتعلقون به حينئذ توقف النص المقدس سنة ٢٦٠هـ، وانقطع سبيل الأموال الجارية التي تؤخذ من الأتباع باسم الإمام فافترق الشيعة وتثبت أمرهم وضاقت بهم السبل فمنهم من قال: انقطعت الإمامة[٢]. ومنهم من قال: إنَّ الحسن بن علي توفي ولا عقب له, والإمام بعده جعفر بن علي أخوه إلى غير ذلك من اختلافاتهم[٣].

حتـى قـام رجل يُدعى "عثمان بن سعد العمري" وادعى أنَّ للحسن العسكري ولـداً في الخامسة من عمره مُختفياً عن الناس، لا يظهر لأحد غيره، وهو يعد أباه وأنَّ أبـاه قـد اتخذه وكيلاً عنه في قبض الأموال ونائباً يجيب عنه في المسائل الدينية، ولما مـات عثمان ابن سعد(٢٨٠هـ): ادَّعى ابنه المزعوم محمد بن عثمان نفس دعوى أبيه بعـد وفاته حتى توفي (٣٠٥هـ) وخلَّفه الحسين بن روح النوبختي، ثم أبو الحسن علي بن محمد السمري وتوفي سنة (٣٢٩هـ)، وهو آخرهم عند الشيعة الإمامية، ومن بعده وقعـت الغيـبة الكبرى، وكان هؤلاء النواب عند الإمام يتلقون أسئلة الناس كما يتلقون أمـوالهم، ويأتـون بأجوبتها وإيصالاتها من الإمام المنتظر، ويسمونها توقيعات، وهي خطـوط الأئمـة فـي جواب مسائل الشيعة لأسئلتهم، يقول الطبرسي: " وأمَّا الأبواب المرضـيون والسفراء الممدوحون في زمان الغيبة فأولّهم الشيخ الموثوق به أبو عمرو

(١) النوبختي: فرق الشيعة، ص٩٦. الكليني: أصول الكافي، ج١، ص٥٠٥. والمجلسي: بحار الأنوار، ج٥١، ص٣٤٨.

(٢) القمي: المقالات والفرق، ص١٠٨.

(٣)الطوسي:الغيبة ص٢٢٣

عـثمان ابـن سـعيد العمري: نصبه أولاً أبو الحسن علي محمد العسكري، ثم ابنه أبو محمـد الحسن فتولى القيام بأمورهما حال حياتهما عليهما السلام، ثم بعد ذلك قام بأمر صـاحب الـزمان عليه السلام، وكانت توقيعاته وجواب المسائل تخرج علي يديه فلمّا مـضى لسبيله قام ابنه أبو جعفر محمد بن عثمان مقامه وناب منابه في جميع ذلك فلما مضي هو, قام أبو القاسم حسين بن روح من بني نوبخت فلما مضي هو, قام مقامه أبو الحـسن علي بن محمد السمري، ولم يقم أحد منهم بذلك إلاّ بنص عليه من قبل صاحب الأمر عليه السلام "[1].

وهـذه الأجـوبة والتوقـيعات هـي عند الشيعة كقول الله ورسوله، حتى إنهم رجحوا هذه التوقيعات على ما روي بإسناد صحيح عندهم في حال التعارض.

يقـول ابـن بابويه القمي في كتاب "من لا يحضره الفقيه" بعد ذكره للتوقيعات الـواردة مـن الناحية المقدسة في باب الرجلين يوحي إليهما: هذا التوقيع عندي بخطه عليه السلام ويقصد أبي محمد الحسن بن علي.

ثُـمَّ ذكـر أنَّ في الكافي رواية بخلاف ذلك التوقيع عن الصادق ثم قال: "لست أفتي بهذا الحديث بلا فتي بما عندي بخط الحسن بن علي"[2].

وقد عقد الحر العاملي علي هذا الكلام فقال: " إنَّ خط المعصوم أقوى من النقل بوسائط "[3].

وقد اعتبر علماء الشيعة المعاصرين هذه الرقاع من السنة التي لا يأتيها الباطل وهذه الرقاع والتوقيعات كثيرة ذكر المجلسي شيئاً منها في كتاب بحار الأنوار[4].

وقـد جمع شيخهم أبو العباس عبد الله بن جعفر الحميري ــ من أعلام القرن الـثالث الهجري ــ الأخبار المروية عن منتظرهم، وسماهم قرب الإسناد إلى صاحب الأمـر وذكـر الطهرانـي صـاحب كتاب الذريعة كتابين لهم في هذا باسم التوقيعات

---

(١) الطبرسي: الاحتجاج، ج٢/٢٩٦ــ ٢٩٧.

(٢) ابن بابويه القمي: من لا يحضره الفقيه، ج٤/٢٠٣.

(٣) الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج٣٠/٢٧٤.

(٤) المجلـسي: بحار الأنوار، ج٥٣، ص١٥٠ ــ ٢٤٦. والكافي: الكليني، ج١، ص٥١٧ وما بعدها. والطوسي: الغيبة، ص٢٨٥.

الخارجــة من الناحية المقدسة[1]. وتحكي هذه التوقيعات رأي الإمام في كثير من أمور الــدين والدنــيا، مع الأخذ في الحسبان أنَّه كان عالماً بالغيب المجهول وتحقيقه لأماني شيعته وشفائه لأمراضهم وحل لمشاكلهم وإجابة لأسئلتهم واستلامه لما قدَّموه من أموال وقد تصاغ أحداث ذلك أحياناً بثوب قصصي.

ومــثال ذلــك مــا جاء في بحار الأنوار للمجلسي، حيث يقول: " وكتب إليه صــلوات الله علــيه أيضاً في سنة ثمان وثلاثمائة كتاباً سأله فيه عن مسائل: سأل عن الأبرص والمجذوب وصاحب الفالج هل يجوز شهادتهم وإن كانت ولادة لم تجز"[2].

ومــن هــذه التوقيعات الصادرة عن الإمام، أخذ الاثنا عشرية دينهم، وهي من أقوى دلائلهم وأوثق حججهم.

ومفهــوم الــسنة عــندهم متعلق بعقيدتهم الباطنية في الأئمة والحق أنَّ الأئمة المعصومين كلهم إلا ثلاثة.

ومــا بيــناه فيما تقدم أنَّ السنة في اصطلاح الشيعة الاثنا عشرية هي: كل ما صــدر عن النبي أو أحد أئمتهم ــ الذين يصفونهم بالمعصومين ــ من قول أو فعل أو تقرير وقد تضمن كلامهم عدة مسائل منها:

الأول: أن كلام الإمام هو كلام النبيﷺ، وكلام النبي هو كلام الله. وبالتالى فإنَّ كلام الإمام هو كلام الله تعالى.

الثاني: أنَّ ما يصدر من الأمام مشكوك في صحته بسبب التقية التي يستخدمها الأئمة.

وللرد علي هذه المسألة من خلال أقوال أئمتهم:

---

(١) الطهراني: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج٤، ص٥٠٠. والتوقيعات الخارجة من الناحية المقدسة ذكر الحر العاملي أنَّه مطبوع بتحقيق ونشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، وتراجم رجالهم تشير إلى مــن زعم أنه كاتَب صاحب الأمر، عن طريق أولئك النواب الأربعة كما في ترجمة محمد بن عبد الله بن جعفر بن الحسن بن جامع بن مالك الحميري. (انظر، الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج٣،ص٤٧٦).

(٢) المجلسي: بحار الأنوار، ج٥٣، ص١٦٤. ولمزيد من التفصيل في هذه المسالة فليرجع إلى كتاب بحــار الأنــوار، وكمــال الــدين لابن بابويه القمي ص٤٨٢ ،والغيبة للطوسي ص٤١٥ ،والاحتجاج للطبرسي.ج٢/٢٨٣ ،٢٩٩، ٣٠٢.

١ــ جعل الإمامية قول الإمام مثل قول النبي لاعتقادهم بعصمته، ولكنَّ الناظر في كتبهم يجد أقوالاً للأئمة تنقض هذه العصمة، فقد نُسِب إلى الإمام علي في النهج، أنَّه كـــان يقول في دعائه "اللهم اغفر لي ما أنت أعلم به مني فإن عدت فعُد علي بالمغفرة، اللهـــم اغفر لي ما رأيت من نفسي، ولم تجد له وفاء عندي، اللهم اغفر لي ما تقرب به إليـــك لـــساني، ثُمَّ خالفه قلبي اللهم اغفر رمزات الألحاظ وسقطت الألفاظ، وسهوات الجنان وهفوات اللسان(١).

وكـــان الصادق يدعو بهذا الدعاء "إلهي.. كيف أدعوك وقد عصيتك، وكيف لا أدعـــوك وقـــد عرفت حبك في قلبي وإن كنت عاصياً مددت إليك يدا بالذنوب مملوءة أعينـــنا بالـــرجاء ممدودة وإلهي أنت عظيم العظماء وأنا أسير الأسراء أنا أسير بذنبي مـــرتهن بجرمـــي إلهـــي لئن طالبتني بذنبي لأطالبنك بكرمك ولئن طالبتني بجريرتي لأطالبنك بعفوك ... إلى قوله يا أرحم الراحمين "(٢).

وعـــن حبـــيب الخثعمي(٣) قال: سمعت أبا عبد الله يقول: إنَّا لنذنب ونسيء ثم نتوب إلى الله متابا"(٤)".

فمـــن خـــلال هـــذه النـــصوص السابقة المنسوبة لأئمتهم نرى الإقرار بالذنب والاعتـــراف بـــسقطات اللسان وشهوات الجنان وحدوث النسيان، وليس من الغريب أن تصدر عنهم هذه الأقوال لأنَّهم لم يدعوا لأنفسهم العصمة ولم يحتجوا بها علي أصحابهم عند مخالفتهم إياهم ولكن ذلك ينفي ما تدعيه الإمامية من العصمة لهم.

فلو كانوا معصومين لكان إقرارهم واستغفارهم من الذنوب عبثاً وهذا العبث لا يصدر عن المعصوم .

(١) محمد تقي التستري: بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ج٧، ص٣، خطبة رقم ١٧٦.

(٢) الـــصدوق: الأمالـــي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم، ط١، سنة ١٤١٧هـــ، ص٤٣٨.

(٣) هـــو حبـــيب بن المعلل بن الخثعمي المدائني الكوفي روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن والرضا. قال النجاشي الإمامي ثقة صحيح له كتاب رواه محمد بن أبي عمر . انظر رجال النجاشي، ص١٤١.

(٢) المجلسي:بحار الأنوار ج٢٥/٢٠٧

وأما قول المازندراني: " فإن قلت فعلي هذا يجوز من سمع حديثاً عن أبي عبد الله عليه السلام أن يرويه عن أبيه أو عن أحد من أجداده بل يجوز أن يقول قال الله تعالى"(١).

يرده ما رواه الكليني بسنده عن أبي عبد الله أنَّه قال "إياكم والكذب المفترع، قيل له: وما الكذب المفترع؟ قال: إن يحدثك الرجل بالحديث فتتركه وترويه عن الذي حدثك عنه(٢).

وإذا نظرنا في كتبهم نرى أنَّ الحلال والحرام، بل والأحكام لم تبلغهم إلاَّ من طريق جعفر الصادق.

وهذا يعني أن إسلامهم لم يبلغهم من طريق النبيﷺ، ولا من طريق علي ولا الحسن ولا الحسين رضي الله عنهم، وهذا معناه أيضاً أنَّ السابقين لا يعلمون بما جاء من الأحكام عن الأئمة من بعدهم كجعفر الصادق وغيره، ولو كانت عند من قبلهم فلماذا لم يذكروها عنهم.

وهذا معناه أنَّ الجيل الأول من التابعين للرسولﷺ تلقى الحلال والحرام والمناسك عن غير الأئمة، وقد يروي عن أبي عبد الله أنَّه قال: "من دان الله بغير سماع عن صادق ألزمه الله ألبته إلى العناء ومن ادعى سماعاً من غير الرد عليهم من الكتاب والسنة "(٣).

---

(١) المازندراني: شرح أصول الكافي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ج٢ /٢٢٥.

(٢) الكليني: أصول الكافي، تحقيق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٣هـ، ج٢/٢٠.

(٣)الكليني:أصول الكافي ج١/٣٥٥،وقد قال المازندراني "قوله ألزمه الله البتة إلي العناء و"العناء بالفتح :المشقة اسم من عناه يعنيه والمراد بها المشقة الأخروية والشقاوة الأبدية وفي لفظ البتة إشعار بأن الإلزام مقطوع به لا رجعة فيه وقوله "فهو مشرك"لان من جعل للإمام شريكا كان كمن جعل للنبي شريكا ومن جعل للنبي شريكا كان كمن جعل لله تعالي شريكا وأيضا من رد إمام الله تعالي وأخذ إماما أخر فقد ضاد الله تعالي في أمره ومن ضاده فهو مشرك "انظر المازندراني:شرح أصول الكافي، ج٦/٣٥٥.

وللـــرد عليهم وإظهار معتقدهم المخالف للسنة وحدودها، نذكر ذلك من القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة.

١ــ من القرآن الكريم:

أولاً: لقد أخبرنا الله تعالى أنَّ كلام بنيهﷺ كله وحي من عنده تعالى والوحي لا يكـــون إلاَّ لمعــصوم قال تعالى: "قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ"(١).

وقـــال تعالى: " وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى" (٢).

ومـــن لـــزوم الإيمان برسالة النبيﷺ قبول كل ما يرد عنه في أمر الدين قال تعالـــى: "وَإِذَا جَـــاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَـيْثُ يَجْعَـــلُ رِسَـــالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ"(٣). وقال تعالى أيضاً: "فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ"(٤).

ثانـــياً: أنَّ الله تعالـــى لم يخبرنا في كتابه الكريم عن وجوب قبول ما يرد عن الأئمة أو دليل من الوحي على أنهم من المعصومين مثل الأنبياء والمرسلين.

ثالـــثاً: ويؤكد القرآن على وجوب طاعة الرسول كما قال تعالى: "وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ"(٥)، وقوله تعالـــى: "وَمَـــا آتَـــاكُمْ الرَّسُـــولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ"(٦).

رابعـــاً: أنَّ مـــن طاعـــة الرسول الامتثال بأقواله وأفعاله وتقريراته، والقرآن الكريم لم ينص على طاعتهم دون غيرهم، أو أن يكون لهم الإمامة دون غيرهم.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٤٥.

(٢) سورة النجم: الآيات١:٤.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٢٤.

(٤) سورة النحل: الآية ٣٥.

(٥) سورة المائدة: الآية ٩٢.

(٦) سورة الحشر: الآية ٧.

وكـل ما ذكره الشيعة من الأدلة على أقوالهم من القرآن أو السنة هو من باب الأدلة العامة التي يجوز أن تُطلق على أي أحد من أهل الإسلام.

٢ــ من السنة النبوية الشريفة:

أولاً: أنَّ النبـي ﷺ لا يحـتاج إلى من يكمل له الدين الذي أمره الله تبليغه فعن المقـدام بن معدي[١] عن النبي ﷺ قال: ألا إنّي أوتيت الكتاب ومثله معه في السنة[٢] ثم إخـباره ﷺ لأمته بأنَّه قد أقام الحُجة عليها من خلال تبليغه لشرع الله تعالى، فعن عبد الرحمن بن عمرو السلمي أنَّه سمع العرباض بن سارية يقول: "وعظنا النبي وقال: لقد تركتم علي مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلاَّ هالك"[٣].

فلو كان للأئمة حق في تبليغ شرع الله لما كان لقول النبي معنى، والرد عليهم من أقوال علماء أهل السنة والجماعة على أنَّ السنة هي ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو عمل أو تقرير سواء أكان ذلك قبل البعثة أم بعدها، فغرضهم معرفة ما كان عليه النبي ﷺ في أحواله كلها سواء أفاد حكماً شرعياً أم لم يفد[٤].

وقـد قـال الإمام الذهبي رحمه الله عن الرسول ﷺ هو المعصوم وطاعته هي الواجـبة فـي كـل وقت على الخلق، وعلم الأمة بأوامره أتم من علم البعض بأوامر المنتظـر، فهـذا رسـول الله هو الإمام المعصوم، وأوامره معلومة، فاستغنت الأمة به وبأوامره وبعمله عن كل أحد وأولو الأمر.

---

(١) وهو المقدام بن معدي بن يكرب بن عمرو الكندي صحابي مشهور، نزل الشام، توفي ٨٧ هـ، على الصحيح، وله ٩١ سنة،انظر ابن حجر: تقريب التهذيب، ج٢، ص٢١٠.

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب لزوم السنة، ح(٤٦٠٤).

(٣)هذا جزء من حديث رواة ابن ماجه في سننه، المقدمة، باب اتباع الخلفاء الراشدين: ١٦/١، وأحمد فـي مـسنده: ١٢٦/٤، والحاكم في مستدركه: ٩٦/١، وابن أبي عاصم في كتاب السنة باب ذكر قول النبـي صـلى الله عليه وسلم: "تركتكم على مثل البيضاء"، وروى عدة روايات في هذا المعنى صحح الألباني معظمها.قال أبو الدرداء رضي الله عنه: "صدق الله ورسوله فقد تركنا على مثل البيضاء [رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة ٢٦/١].

(٤) الخطـيب الـبغدادي: الكفاية في علم الرواية، تحقيق: د. أحمد عمر هاشم، ص٦ ، ط دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م.

وقد قال الغزالي في الرد على ما نسبوه من عصمة لأئمتهم، فنقول لهم: وبماذا عــرفتم صــحة كونه معصوماً ووجود عصمته؟ أو بضرورة العقل أو بنظرة أو سماع خبر متواتر عن رسول الله يورث العلم الضروري؟.

ولا ســبيل إلـــى دعــوى الضرورة ولا إلى دعوى الخبر المتواتر المُفيد للعلم الضروري؛ لأنَّ كافَّة الخلق تشترك في إدراكه، وكيف يدعي ذلك، وأصل وجود الإمام لا يعــرف ضرورة، بل نازع منازعون فيه، فكيف تعلم عصمته ضرورة؟ وإن ادعيتم ذلــك بنظــر العقــل، فنظر العقل عندكم باطل وإن سمعتم من قول إمامكم أنَّ العصمة واجــبة للإمـــام فلــم صدقتموه قبل معرفة عصمته بدليل آخر؟ وكيف يجوز أن تعرف إمامته وعصمته بمجرد قوله؟.

على أنَّا نقول: أي نظر عرفكم وجوب عصمته الإمام ؟ فلا بد من الكشف عنه فــإن مثــيل الدلــيل عليه وجوب الاتفاق على كون النبي معصوماً ولم نحكم بوجوب عــصمته إلاَّ لأنَّــا بواسطته نعرف الحق ومنه نتلقفه ونستفيده ولو جوزنا عليه الخطأ والمعــصية سقطت الثقة بقوله فما من قول ليصدر عنه إلاَّ ونتصور أن يُقال لعلَّه أخطأ فــيه أو تعمــد الكذب، فإنَّ المعصية ليست مُستحيلة على ذلك مما لا وجه له(1)؛ ولكنَّ الإمامية قد غالوا في الأخبار المنسوبة لعلي‑ حتى جعلوا كلامه فوق كلام النبي صلي لله علــيه وسلم قال الحلي لإمامي في علي "أما علم الفصاحة فهو منبعه وأصله قد بلغ الغايــة وتجاوز النهاية حتى قيل في كلامه بأنَّه فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق وكل الخطباء تعلموا منه(2).

ويقولـــون أن كـــلام الإمام فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق فأين ذهبوا بكـــلام نبينا إن كان كلام علي فوق كلام المخلوق وكيف يساوون كلام الإمام بكلام الله تعالى وقد أثبتوا التقية للإمام وهل الله في نظرهم يدخل في كلامه التقية أيضاً فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية "والرافضة تزعم أنَّ الاثنا عشرية معصومون من الخطأ والذنب ويــرون هذا من أصول دينهم وقد بلغ الغلو إلى أن يجعلوا بعض من غلوا فيه بمنزله

---

(1) الغزالي: فضائح الباطنية، ص١٤٣.

(2) الحــسن بــن يوســف بــن المهر الحلي: كشف إليقين في فضائل أمير المؤمنين، تحقيق: حسين الدركاهي، طهران، ط١، ١٤١١هـــ ـــ ١٩٩١م، ص٦٠ ـــ، ٦١.

النبي ﷺ وأفضل وإن زاد الأمر جعلوا له نوعاً من الإلهية وكل هذا من الجاهلية المضاهية للضلالات النصرانية[1].

وبالتالي فإنّ الشيعة الاثنا عشرية كان موقفهم من السنة واضحاً، ووضوحه يدل على ضعف مذهبهم حتى في مثل هذا العلم، وانقطاع أسانيدهم، وعدم إتباعهم لا للنبي ﷺ ولا لعلي ولا أولاده من بدعه، وهذا واضح من خلال تعريفهم النظري، أو حتى من باب الروايات التي كثرت عن اثنين أو ثلاثة فقط من الأئمة وعلى رأسهم جعفر الصادق، وقلت الأحاديث وندرت من طريق النبي ﷺ أو علي والحسن والحسين ندرة ملحوظة.

(١) ابن تيمية : مجموع الفتاوى،ج١١، ص٦٧ جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد النجدي، توزيع الرئاسة العامة لشئون الحرمين ١٤٠٤هـ.

المصادر والمراجع:

١. أحمد بن حنبل: الرد علي الزنادقة والجهمية، تحقيق: محمد حسن راشد، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٩٣ هـ.
٢. أحمد الحسيني : تلامذة المجلسي، مطبعة الخيام ،نشر مكتبة آية الله المر عشي النجفي ، قم ، ١٤١٠ هـ .
٣. إيمان صالح العلواني: مصادر التلقي و أصول الاستدلال العقدية عند الأمامية الاثني عشرية ، عرض و نقد ، دار التدميرية ، الغدير – بيروت، ط١ ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩م.
٤. ابن بابويه القمي: عيون أخبار الرضا ، تحقيق الشيخ حسن الاعلمي، مؤسسة الاعلمي ، مطبوعات بيروت ، لبنان ط١ ، ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤م.
٥. ابن بابويه القمي:كمال الدين وتمام النعمة ،تحقيق :علي أكبر الغفاري ،مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ،قم ، ١٤٠٥ هـ.
٦. البرقعي:كسر الصنم:دار الثقافة قطر ،مكتبة دار القران ،/مصر،ط١ ، ١٤٢٨هـ ، ٢٠٠٧ م.
٧. البغوي:شرح السنة،تحقيق:شعيب الارناؤوط،المكتب الإسلامي،بيروت،ط٢، ١٤٠٣ هـ،١٩٨٥م.
٨. البهسودي : مصباح الأصول ، المطبعة العلمية ، نشر مكتبة الدواري ، قم ، ط٥ ، ١٤١٧هـ.
٩. البيهقي . سنن البيهقي ،تحقيق : عبد القادر عطا ، مكتبة الباز،مكة،١٤١٤هـ.
١٠. ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق :محمود محمد الطناحي ، وطاهر احمد الزاوي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان .
١١. جعفر آل كاشف الغطاء: أصل الشيعة وأصولها ، تحقيق: علاء آل جعفر مؤسسة الإمام علي قم ، ط١ ، ١٤١٥ هـ.
١٢. أبي جعفر الطوسي : الغيبة ، تحقيق : عباد الله الطهراني و علي احمد ناصح ، مطبعة بهمن ، نشر مؤسسة المعارف الإسلامية ، قم ،ط١، ١٤١١ هـ.
١٣. أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني: أصول الكافي ، تحقيق علي اكبر الغفاري – مطبعة حيدري ، نشر دار الكتب الإسلامية طهران ، ط٢ ، ١٣٨٨ هـ.

١٤. ابن حجر : فتح الباري في شرح صحيح البخاري، دائرة المعرفة، للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ط٢ ، ١٣٧٩ هـــ .
١٥. الحر العاملي: وسائل الشيعة آل البيت،تحقيق:مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ،قم ، ط٢ ،١٤١٤هـــ.
١٦. الحسيني التفرشي: نقد الرجال، تحقيق ونشر مؤسسة أهل البيت لإحياء التراث قم ، ط١ ، ١٤١٨ هـــ .
١٧. الخطـيب الـبغدادي: الكفاية في علم الرواية ، تحقيق احمد عمر هاشم ، دار الكتاب العربي – بيروت لبنان ، ١٤٠٥هـــ ١٩٨٥ م .
١٨. الخوئـي: معجـم رجـال الحديث مركز المعجم الفقهي "الحوزة العلمية "قم، ط ٥ ، ١٩٩٢م، ١٤١٧ هـــ.
١٩. خير الدين الزركلي:الأعلام، دار العلم للملايين ، بيروت.
٢٠. أبو داود: المراسيل، تحقيق كمال يوسف الحوت دار الجنان ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٨ هـــ ١٩٨٨ م .
٢١. رءوف شـلبي: السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين و رفض الجاهلين ، مطبعة دار السعادة بالقاهرة ، ط١ ، ١٣٩٨ هـــ ، ١٩٨٧ م.
٢٢. الـسيد أحمد المجلسي: تلامذة المجلسي ،مطبعة الخيام نشر مكتبة آية الله المرعشي النجفي قم،ط١ ، ١٤١٠ هـــ.
٢٣. صـالح الورداني عقائد السنة وعقائد الشيعة بين التقارب و التباعد ، الغدير بيروت لبنان ط٢ ١٤١٩ هـــ ١٩٩٩م.
٢٤. الطبري الشيعي :بشارة المصطفى، تحقيق :جواد الفيومي الاصفهاني مؤسسة النشر الإسلامية قم ط١ ١٤٢٠ هـــ.
٢٥. الطبـري الشيعي نوادر المعجزات تحقيق و نشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام ١٤١٠ هـــ. ق.
٢٦. طه الدسوقي حبيشي:السنة في مواجهة أعدائها،مكتبة رشوان بمصر ،ط١،١٩٩٥م ، ١٤١٦ هـــ..
٢٧. الطوسي :رجال الطوسي ،تحقيق :جواد القيومي في مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعه المدرسين قم ،١٤١٥ هـــ.

٢٨. الطوسي: الغيبة ،تحقيق :عباد الله الطهراني ،و علي احمد ناجح، مطبعة بهمن، نشر مؤسسة المعارف الإسلامية ،قم، ط١، ١٤١١ هـ.
٢٩. عبد الحسين الموسوي: المراجعات ،تحقيق :حسين الراضي الجمعية بغداد، ط٢ ، ١٤٠٢ هـ.
٣٠. عبد الغني عبد الخالق: حجية السنة ، دار الوفاء بالمنصورة ، ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٣م .
٣١. عبد المحسن العباد: رواية ودراية ، المدينة المنورة ، ط١ ، ١٤٠١هـ.
٣٢. عبد المحسن المطيري، الطعن في القران الكريم و الرد علي الطاعنين في القرن الرابع عشر "موقع مركز الكتب الالكترونية".
٣٣. علي أحمد السالوس: مع الاثني عشرية في الأصول و الفروع الناشر، مكتبة دار القرآن عصر، دار الثقافة بقطر، دار الفضيلة بالرياض، ط ٧ ، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣م.
٣٤. الغزالي : فضائح الباطنية ، تحقيق عبد الرحمن بدوي مؤسسة دار الكتب الثقافية ، الكويت .
٣٥. فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب و التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط١ ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م.
٣٦. القاسمي : قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، البابي الحلبي، ط١،١٣٨٣هـ.
٣٧. آقا برزك الطهراني : الذريعة إلي تصانيف الشيعة ، دار الأضواء – بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٣ هـ.
٣٨. ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث، دار الجبل ،تحقيق: محمد زهري النجار ، بيروت ، ط ١ ، ١٣٩٣ هـ ١٩٧٢ م .
٣٩. ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة السعادة بمصر ، ط١، ١٣٧٤ هـ .
٤٠. محمد باقر الحكيم : علوم القران مطبعة مؤسسة الهادي و نشر مجمع الفكر الإسلامي قم، ط٣ ، ١٤١٧ هـ .
٤١. محمد بن جرير بن رستم الطبري الشيعي: دلائل الأمامية ، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية ، مؤسسة البعثة ، قم ، ط١ ١٤١٣ هـ.

٤٢. محمــد رضا المظفر: عقائد الأمامية ، تحقيق و تعليق و تقديم : حامد حنفي داود ، مطبعة بصمة انتشارات أنصاريان للطباعة ،دار النشر قم.

٤٣. محمــد صــالح المازندراني : شرح أصول الكافي تصحيح السيد عاشور ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٢ هــ ، ٢٠٠٠م.

٤٤. محمــود الحــسين المظفــر: علم الإمام ، دار الزهراء للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٢ هــ.

٤٥. المــروزى: الــسنة، تحقــيق:ناصر الدين الألبانى،المكتب الإسلامى، بيروت، ط٣ ، ١٤١٣هــ - ١٩٩٣م.

٤٦. مــروان شاهين : تيسير اللطيف الخبير في علوم حديث البشير النذير ، مكتبة فوزي الشيمي للطباعة بطنطا.

٤٧. مصطفى السباعي : السنة و مكانتها في التشريع الإسلامي ، المكتب الثقافي ،دمشق ،سوريا ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٢ هــ ١٩٨٢ م .

٤٨. ابــن المطهــر الحلي : خلاصة الأقوال في معرفة الرجال ، تحقيق : جواد القيومي ، مؤسسة النشر الإسلامي ، ط١ ن ١٤١٧ هــ.

٤٩. نعمــة الله الجزائــري :الأنوار النعمانية،مؤسسة الاعلمي للمطبوعات بيروت ،ط٤ ، ١٤٠٤ هــ.

٥٠. النوبختــي:فــرق الــشيعة،تحقيق :محمد صادق بحر العلوم ،المطبعة الحيدرية ،نشر المكتــبة المرتضوية ،النجف،١٣٥٥ النعمانية،مؤسسة الاعلمي للمطبوعات بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٤ هــ.